

الحديث الوارد في مقدار عمر السيدة عائشة

يوم العقد ويوم الزواج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، رب تمم بالخير، واختم لنا بالخير، بفضلك ومنك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

ورد حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه عقد على السيدة عائشة رضي الله عنها وسنها ست سنوات وتزوجها وسنها تسع سنوات، فهل صح هذا الحديث سندا ومتنا؟ لا بد من الدراسة.

كنت قد وقفت على مقالة حول هذا الموضوع الهام كتبها أحد الباحثين في تضعيف ذلك الحديث من حيث السند والمتن، ووجدت أن من الممكن الاستفادة منها في التقاط بعض الأفكار العلمية مع التغاضي عن نقط الضعف، للخروج بنتيجة مؤسسة على الأدلة والقرائن الموصلة إلى القول الصواب بإذن الله.

ولضرورة تجلية وجه الصواب في هذه المسألة الهامة من مسائل السيرة النبوية الشريفة والروايات الحديثية فهذا بحث مدعم بالأدلة في تاريخ ولادة السيدة عائشة رضي الله عنها، وفي مقدار عمرها وقت العقد عليها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمرها وقت زفافها، وفي هذه المسألة قولان:

القول الأول المشهور: هو أنه عقد عليها وهي بنت ست سنين وتزوجها وهي بنت تسع، أخذا بما ثبت عنها من قولها في صحيح البخاري وغيره، مما يعني أنها ولدت بعد البعثة النبوية بأربع سنين.

القول الثاني: هو أنه عقد عليها وهي ابنة أربع عشرة وتزوجها وهي ابنة ثماني عشرة، مما يعني أنها ولدت قبل البعثة بأربع سنين.

دليل القول الأول:

روى البخاري ومسلم وغيرهما من طرق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها وهي بنت ست سنين وبنى بها وهي بنت تسع سنين. ورواه مسلم من طريق معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة.

ورواه ابن حنبل ومسلم من طريق الأسود بن يزيد النخعي عن عائشة. وكلمة "تزوجها" قد ترد بمعنى العقد، وهذا هو المقصود هنا.

فالحديث سنده صحيح، وقد أخطأ من ظن أن هشام بن عروة تفرد بروايته وأنه من أوهامه.

أدلة القول الثاني:

1 - عائشة أصغر من أختها أسماء رضي الله عنهما بعشر سنين، وقد وُلدت أسماء قبل الهجرة بسبع وعشرين سنة، أي قبل البعثة النبوية بأربع عشرة سنة، وهذا يعني أن عائشة ولدت قبل الهجرة بأربع سنوات.

روى ابن عساكر في تاريخ دمشق بسنده عن ابن أبي الزناد أنه قال: كانت أسماء بنت أبي بكر أكبر من عائشة بعشر سنين.

وقال أبو نعيم في معرفة الصحابة في ترجمة أسماء: وُلدت قبل التاريخ بسبع وعشرين سنة، وتوفيت سنة ثلاث وسبعين بمكة بعد قتل ابنها عبد الله بن الزبير بأيام، ولها مئة سنة.

ومما يؤكد هذه الرواية في معرفة سنة ولادة أسماء ما روى أبو نعيم كذلك عنها أنها قالت: رأيت زيد بن عمرو بن نفيل وهو مسند ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش، ما منكم اليوم أحد على دين إبراهيم غيري. وقد توفي زيد وقريش تبني الكعبة قبل أن ينزل الوحي على رسول الله بخمس سنين، كما رواه ابن سعد في الطبقات عن سعيد بن المسيب، أي قبل الهجرة بثمانية عشر عاماً، فيكون عمرها وقت سماعها إياه تسع سنين، وهذا معقول، لأن من يضبط مثل هذا السماع منه لا يكون دون تسع في الغالب.

وقال ابن الأثير في أسد الغابة: قال أبو نعيم: وُلدت قبل التاريخ بسبع وعشرين سنة. وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: وتوفيت أسماء بمكة في جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين، وماتت وقد بلغت مئة سنة.

2 - روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وسلم وإني لجارية ألعبُ {بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر}، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده.

قال القرطبي في تفسيره: قال ابن عباس: "كان بين نزول هذه الآية وبين بدر سبع سنين". وإذا كان ذلك كذلك فهذا يعني أنها نزلت قبل الهجرة بخمس سنين وبعد البعثة بثمان.

وقال ابن سيده في المحكم وابن منظور في لسان العرب: الجارية: الفتية من النساء. والفتية هي الشابة. وكأنهم يطلقون لفظة الجارية على البنت في أول فتاتها وشبابها حيث تجري جينة وذهابا.

فكم كان عمر عائشة عند نزول قوله تعالى {بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر} الذي نزل بعد البعثة بثمان سنين؟!.

أما على القول الأول فيكون عمرها أربع سنوات، وبنت الأربع لا يُقال لها جارية، فالقول الأول خطأ، وأما على القول الثاني فيكون عمرها وقت نزول الآية ثنتي عشرة سنة، وهذا هو المنسجم مع معنى الجارية.

3 - روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "لم أعقلُ أبويَّ قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمرَّ علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشية، فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا قبيل الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة...". الحديث.

وجه الدلالة من هذه الرواية أمران:

أولهما أن الطفل لا يدرك في العادة تدئين أكثر الناس من حوله بدين وتدئين والديه بدين مغاير قبل سن الرابعة، ولو كانت عائشة قد وُلدت في السنة الرابعة من البعثة وكان أول وعيها بما حولها في السنة الثامنة منها لكان قولها "لم أعقلُ أبويَّ قط إلا وهما يدينان الدين" تحصيل حاصل غير ذي فائدة، لأن أبا بكر معلوم سبقه إلى الإسلام، وأم رومان أسلمت بمكة قديما، كما قال ابن سعد.

ولكن إذا كانت قد وُلدت قبل البعثة بأربع سنوات وكان أول وعيها بما حولها في السنة الأولى من البعثة فيكون لهذا القول فائدة، وهي أنها - أول ما بدأت تعي ما حولها - رأت والديها كليهما يدينان بدين الإسلام، وليس والداهما فقط.

وهذا دليل على أن ولادتها كانت قبل البعثة بنحو أربع سنوات، وهذا ما دلت عليه القرائن الأخرى.

وثانيهما أن قولها "فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا قبيل الحبشة" معطوفا على إدراكها لأبويها وهما يدينان الدين هو كالصريح في أنها كانت إذ ذاك

واعية لهذا الحدث، وخروج الصحابة من مكة للهجرة قبيل الحبشة كان في أواسط السنة الخامسة من البعثة، وهجرتهم الثانية إليها في أواخر الخامسة أو أوائل السادسة.

ولو كانت عائشة قد وُلدت في السنة الرابعة من البعثة لما كان ممكنا لها أن تدرك ما حدث في أوائل السادسة، ولكن إذا كانت قد وُلدت قبل البعثة بأربع سنوات فهذا يعني إمكان إدراكها لذلك بوضوح.

4 - قال محمد بن إسحاق في السيرة النبوية في ذكر أسماء أوائل من أسلموا: "ثم أسلم ناس من قبائل العرب، منهم سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وامرأته فاطمة بنت الخطاب، وأسماء بنت أبي بكر، وعائشة بنت أبي بكر وهي صغيرة، ... ثم إن الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بما جاء به، وأن ينادي الناس بأمره، وأن يدعو إلى الله تعالى، وكان ربما أخفى الشيء واستتر به إلى أن أمر بإظهاره، فلبث سنين من مبعثه، ثم قال الله تعالى {فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين}."

ونقل ابن كثير بعض هذا النص بالمعنى فقال: قال ابن إسحاق: ثم أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بعد ثلاث سنين من البعثة بأن يصدع بما أمر، وأن يصبر على أذى المشركين.

وكلام ابن إسحاق يعني أن عائشة أسلمت في فترة الدعوة السرية بعد البعثة، وأنها كانت صغيرة، وإذا كانت تلك الفترة قد دامت ثلاث سنوات فعمل عائشة قد أحضرت إلى بعض تلك المجالس في أواخر الفترة، وعلى القول بأنها وُلدت بعد البعثة بأربع سنين فهذا لا يستقيم أصلا، إذ ما كانت قد وُلدت بعد، وأما على القول الثاني فيكون عمرها ست سنوات أو سبعا، ولعل ابن إسحاق ذكرها في المسلمين الأولين رغم صغر سنها لمقام والدها أبي بكر رضوان الله عليه، ولتكون معطوفة على أختها أسماء التي هي أكبر منها بعشر سنوات.

5 - قال الطبري في تاريخه: "تزوج أبو بكر في الجاهلية قتيبة ابنة عبد العزى فولدت له عبد الله وأسماء، وتزوج أيضا في الجاهلية أم رومان بنت عامر فولدت له عبد الرحمن وعائشة، فكل هؤلاء الأربعة من أولاده وُلدوا من زوجته اللتين سميتهما في الجاهلية".

فهذا نص تاريخي واضح صريح في أن عائشة رضي الله عنها وُلدت قبل البعثة النبوية.

6 - روى ابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني والطبراني في المعجم الكبير والحاكم في المستدرک عن عائشة رضي الله عنها أن خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون رضي الله عنهما قالت بمكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي رسول الله، ألا تتزوج؟! قال: ومن؟! قالت: إن شئت بكرة وإن شئت ثيباً. قال: فمن البكر؟. قالت: بنت أحب خلق الله إليك، عائشة بنت أبي بكر. قال: ومن الثيب؟. قالت: سودة بنت زمعة. قال: فاذهبي فاذكريهما علي. وكان هذا بعد وفاة السيدة خديجة رضي الله عنها، كما بينته الروايات الأخرى.

يدل السياق على أن خولة رضي الله عنها أرادت أن تخطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة السيدة خديجة، لأنه أصبح بلا زوجة، وفي غاية البعد أن تخطب له في هذه الحال من لها من العمر ست سنوات!! لكن إذا كانت بنت أربع عشرة سنة فهذا معقول، ويبدو أن هذا هو الصحيح.

- ولا شك في أن اجتماع هذه الأدلة والقرائن على القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج عائشة وعمرها ثمانية عشر عاماً يدل دلالة قوية على أن هذا هو الصحيح.

وأما ما ثبت عن عائشة من أن رسول الله تزوجها وهي ابنة تسع سنين فلا بد أن يكون وهما، وقد عاشت رضي الله عنها - على القول المرجح هنا - خمسة وسبعين عاماً، فلعلها قد أصابها شيء من النسيان في هذا الأمر فروته على التوهم.

فتوهيم القول المروي عن عائشة رضي الله عنها لا مناص عنه، وذلك لاجتماع الأدلة والقرائن التي تقدم ذكرها على خلافه.

- خلاصة البحث:

ترجح من اجتماع عدد من الأدلة والقرائن أن السيدة عائشة رضي الله عنها وُلدت قبل البعثة بأربع سنوات، وعقد عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة العاشرة من البعثة وعمرها أربعة عشر عاماً، قبل الهجرة بثلاث سنوات، وتزوجها في أواخر السنة الأولى بعد الهجرة وعمرها ثمانية عشر عاماً.

الحديث الوارد في تحديد عمر عائشة بست سنوات يوم العقد وبتسع سنوات يوم الزواج صحيح الإسناد، ولكنه مخالف للنصوص والقرائن التاريخية الثابتة، فهو معلول، لأنه من الأوهام.

وقد ذكر الأئمة رحمهم الله أن الحديث إذا خالف متنه ما هو أقوى ثبوتاً منه
من ثوابت التاريخ فإنه يُرد، لأن ذلك يدل على أنه قد تطرق إليه الخلل بسبب وقوع
أحد رواياته في الوهم.

والله أعلم.

والحمد لله رب العالمين.